دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، صيف ۱۳۹۲، العدد الثامن عشر، صص ۳۹- ۴۸

النظرة الإجتماعية فی روایة اللّصّ والکلاب

علی گنجیان خناری*

محبوبه بادرستانی**

تاریخ الوصول: ۹۱/۹/۳

تاریخ القبول: ۹۲/۲/۵

الملخص

إنّ اللّصّ والکلاب هی الروایة الثانیة *لنجیب محفوظ* فی فترة الستینات، وقد أصدرها بعد «أولاد حارتنا Fعام ۱۹۶۱ م، فلذا تعتبر من الروایات الرمزیة التی أنکر الکاتب من خلالها النظام الجمهوری، وأکّد علی حضور السلطة فی المجتمع المصری .وإنها تصویر حیّ من البلاد التی یسود فیها الظلم، بدل العدالة، وفی الحقیقة العدالة فیها مغمورة، وقد أراد *نجیب محفوظ* أن یخاطب من خلالها الزعماء الاشتراکیین: أنتم دعوتم الشعب إلی الانتفاضات، والتمردات ثم نسیتم أنفسکم، أنتم خائنون، وهذا النظام هو نظام السلطة، ولیس نظاماً جمهوریاً. إنّ الکاتب، والأدیب الکبیر نجیب محفوظ بالإشارة إلی القضایا هذه یطعنُ فی سلوک الحکام، والزعماء بطرق غیر مباشرة، منها المجتمع المصری، والدین، والمرأة ثم یقدمها بصورة روایة، وهی «اللّصّ والکلاب». یتناول هذا المقال دراسة المضامین المذکورة، بالإضافة إلی دراستها من حیث الشکل.

الکلمات الدلیلیة: نجیب محفوظ، اللّصّ والکلاب، سعید مهران، الشخصیة، الروایة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* عضو هیئة التدریس بجامعة العلامة الطباطبایی(استاذ مشارک). alig1968@yahoo.com

** خریجة جامعة آزاد الإسلامیة فی کرج.

المقدمة

لقد مرّت الرواية عند *نجيب محفوظ* بمراحل مختلفة، أبرزها التاريخية، والاجتماعية، ثم الفلسفية .وتقع« اللّصّ والكلاب» فی المرحلة الثالثة من مراحل تطور الفن الروائی عند *نجيب محفوظ*، حيث كتبها سنة ١٩٦١ م بعد إصدار «أولاد حارتنا» عام ١٩٦٠ م وإنّها عبارة عن مواجهة وتنازع بين الفرد ومجتمعه، أو الصراع بين اللّصّ والكلاب، أو سعيد مهران والمجتمع.

لقد دار حول «اللّصّ والكلاب» نقاش بين الناقدين إذ يعتقد بعضهم بأنّها رواية، وبعضهم يرون أنّها أقصوصة؛ والحقيقة أنها همزة وصل بين الأقصوصة، والرواية حيث امتزجت فيها خصائص الأقصوصة مع خصائص الرواية، ونجيب محفوظ يؤكد على هذا الرأی قائلاً: «اللّصّ والكلاب رواية قصيرة أو أقصوصة طويلة، ومن هنا جاء اختلافها الطبيعی عن بقية الروايات»(محفوظ، ٢٠٠٦ م: ٢٠٠).

الشخصية فی اللّصّ والكلاب

يستخدم الروائی فی تكوين روايته، وتقديمها إلى القارئ شخصيات رئيسة، وأخرى ثانوية، والشخصية الرئيسة تلعب دوراً هاماً فی القصة، إذ يمكن القول إن بناء القصة عليها، وعادةً موضوع القصة يدور حولها وتشغل الشخصيات الثانوية أيضا دوراً هاماً فی توضيح القصة.

يلجأ *نجيب محفوظ* فی «اللّصّ والكلاب» إلى الرمز وينتقی شخصياته كأدوات جزئية صغيرة للتعبير عن أفكار واسعة. والشخصيات فی«اللّصّ والكلاب» هی سعيد مهران، رؤوف علوان، نبوية سليمان، عليش سدرة، سناء، الشيخ علی الجنيدی، نور، معلم طرزان، معلم بياضه، المخبر حسب الله، عم مهران والد سعيد، شعبان حسين، و ...وهم من الشخصيات المعروفة فی هويتها فی حين أنّ بعض الأشخاص فی الرواية دون الاسم، وهم أشخاص غير معروفين مثل بواب رؤوف علوان، والدة سعيد مهران، بائع الجرائد، الشخصيات فی القهوة، وصبی القهوة.

إنّ سعيد مهران شخصية قد تعاملت فی مسيرة حياتها مع الأشخاص الذين يطلق الكاتب عليهم لفظ(الكلاب)الذين جرّوها أخيرا إلى المستنقع الذی لم تستطع أن تتخلص منه، وعاشت تماماً فی الظلمة التی هيّأتها الكلاب، وماتت فيها. وهم ليسوا إلا رؤوف علوان،

وعلیش سدرة، ونبویة سلیمان، وابنته سناء. وهؤلاء یعتبرون الأشخاص الثانویة بالمقارنة إلی شخصیة سعید مهران.

أما من حیث تصنیف الشخصیات فیمکن القول إن الشخصیة: «إما مسطحة وهی لا تتأثر بالأحداث، ولاتتغیر بتغییرها، ولاتؤثر فیها حوادث القصة، وتکون فی نهایة القصة کما کانت فی بدایتها؛ وإما نامیة فهی تتکشف تدریجیا خلال القصة، وتتطور حوادثها، ویکون نتیجةً لتفاعلها المستمر مع الحوادث، ویتحول طابع من عقائد الشخصیات أو أیدیولیجیتها» (میرصادقی، ۱۳۸۰ ش:۹۴-۶۳).

کل الشخصیات فی« اللّصّ والکلاب» تعدّ من الشخصیات المسطحة إلاّ(سعید مهران، ورؤوف علوان، ونبویة سلیمان).کما کان سعید مهران فی ماضیه لصّا ثائرا فیتحول إلی الفوضوی فی محاولته لقتل رؤوف علوان وعلیش سدرة. ونری *نجیب محفوظ* فی ترسیم شخصیاته یعمل بدقة، ومهارة، وحینما یبادر به یراعی البعد الخارجی حیث یستطیع القارئ تصوّرها کما یشیر إلی المظاهر الجسدیة فی سعید مهران هکذا: «بدا سعید، وهو یتابعه بعینیه البراقتین، وجسمه النحیل القوی کأنه نمر یتربص بنیل»(محفوظ، ۱۹۷۳ م:۱۳)، «رغم العینین اللوزیتین، والوجه المستطیل، والأنف الأقنی الطویل»(المصدر نفسه:۱۷) ومن خلال الأوصاف الخارجیة للشخصیات، ومعرفة حیاتهم یمکن الحدس فی أحوالهم الفکریة، والنفسیة کما أن حول شخصیة «نور» فی الروایة یمکن القول من الصفات الخارجیة التی قدّمها *نجیب محفوظ* لهذه المرأة، ویمکن من خلالها معرفة أحوالها النفسیة بطرق غیر مباشرة، کامرأة غیر محترمة، وذات الجسد الآثم.

أسماء الشخصیات ودلالاتها

إنّ الأسماء التی یختارها *نجیب محفوظ* لشخصیاته فی الروایات لها دلالةٌ خاصةٌ فی الأغلب، ترمز إلی فکرة معینة أو مفهوم محدّد .واختیار الأسماء غالبا ما یرجع إلی الشخصیة الواقعیة کما أن الشخصیة الرئیسیة فی «اللّصّ والکلاب» مستمدة من الشخصیة الواقعیة، وهی محمود أمین سلیمان .أما بالنسبة للشخصیات الأخری، فیبدو أنّها لیست واقعیة لکن اختیار أسمائها، یرمز إلی مفاهیم محددة ثم إنّها مستمدة من الواقع الذی یعیش *نجیب محفوظ*، وإن لم یکن مستمدّة من واقع بعینه.

وهناک تضاد بين بعض الأسماء، ومسمياتها كما هو الأمر بالنسبة لسعيد مهران؛ فإنّه لم يكن سعيداً بل كان يعانى من مشاكل كثيرة. وإلى نهاية الرواية يلاحظ التضاد، وبعض الأحيان يلاحظ التناسب من حيث الاسم والمسمى، كما أن هذا الأمر يلاحظ فى اسم سناء. إن هذا الاسم بمعنى الضوء، واللمعان حقيقةً، وتمثل الضوء فى قلب سعيد مهران، حيث يحبها من أعماق قلبه.

الأحداث

ينقل *نجيب محفوظ* الأحداث فى «اللّصّ والكلاب» إلى القارئ من خلال الصراع بين الشخصية الرئيسية، والكلاب، وهذا الغضب الباطنى من ناحية سعيد مهران فى الحقيقة انعكاس تجاه عمل الكلاب أى(الخونة) فمن ثَمّ يُدرک هذا التعريف جيداً، أنّ «الحدث هو الفعل أو الحادثة التى تُشكّلها حركة الشخصيات لتقدم فى النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة»(القضاة، ۲۰۰۰ م:۶۹) وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الشخصية هى الفاعل، والحدث هو الفعل .وفى المجموع الأحداث فى «اللّصّ والكلاب» معدودة.

المكان

«إنّ المكان من عناصر البناء القصصى الذى تدور فيه الأحداث، وتتحرک الشخصيات؛ فكل حادثة لابدّ أن تقع فى مكان معين، وتربط بظروف، وعادات، ومبادئ عند *نجيب محفوظ* واقع ملموس فى جميع رواياته، وقد احتلت القاهرة بأحياءها، وحاراتها، وأزقتها، وشوارعها مركز الصدارة لوقوع أحداث رواياته»(القضاة، ۲۰۰۰ م:۲۰).

كما أن العلاقة المكانية فى «اللّصّ والكلاب» أيضا بارزٌ، ولم يتخل الكاتب عن ذكر أحياء مثل العباسية، لأن هذه المنطقة محبوبة عنده، ويلاحظ فى الرواية ذكر صحراء العباسية مكرراً .وفى جزئيات المكان يمكن تقسيمه إلى المكان المغلق، والمكان المفتوح فى الرواية كما يمكن الإشارة إليها فى اللّصّ والكلاب نحو السجن، والشقة كالأماكن المغلقة، وعطفة الصيرفى، والمقبرة كالأماكن المفتوحة.

الزمان

الزمان أیضاً مثل المکان عنصر جوهری فی العمل الروائی، ویستعمله *نجیب محفوظ* کتکنیک حدیث فی روایاته، ویعتبره تبلور فی أعمال کان هو الطابع الخاص بها مثل «اللّصّ والکلاب»، ویستعمل التکنیک الحدیث فی لحظات مناسبة. حالة سیریالیة .. حالة مونولوج، ویلاحظ القارئ أن البطل فی«اللّصّ والکلاب»(سعید مهران) یعیش فی ماضیه کثیراً، ولن ینساه، وهو فی لحظة واحدة یعود إلی المنصرم، ویغرق فی أعماق نفسه، وفی الحقیقة علی هذا النحو یهتم نجیب محفوظ بالاسترجاع فی إنتاجه.

السرد والحوار

إنّ القصة الواحدة یمکن أن تحکی بطرق متعددة، والطریقة التی تحکی بها تلک القصة تسمی السرد. فالسرد هو الکیفیة التی تروی بها القصة أو الروایة عن طریق هذا الشکل.

قد یعتمد الروائی فی إنتاجه علی السرد فقط دون الحوار غیر أنه لا یمکن أن یعتمد علی الحوار وحده دون السرد کما قد جمع *نجیب محفوظ* فی أسلوبه الروائی بین الطریقین، أی السرد والحوار معاً. إنّ فی «اللّصّ والکلاب» یروی الکاتب الحکایة من وجهة نظر البطل (سعید مهران) ویقدم بالتالی الشخصیات الأخری المحیطة به فی الروایة کما یراهم، ویسمی هذا النوع من السرد(العالم الکل)، مثل هذه العبارة «هذا هو رؤوف علوان، الحقیقة العاریة، جثة عفنة لا یواریها التراب»(محفوظ، ۱۹۷۳ م :۴۷) فهذا الوصف من وجهة نظر سعید مهران، وهکذا یصف الراوی رؤوف علوان علی لسان البطل.

«من استقراء روایات *نجیب محفوظ*، لوحظ أن الشخصیات الرئیسیة تتداولها ثلاثة ضمائر أساسیة هی: «الغائب: هو»، و «المخاطب: أنت»، و «المتکلم :أنا»»(عثمان، لاتا: ۲۴۰). کما یبدأ *نجیب محفوظ* فی«اللّصّ والکلاب» سرد الروایة بضمیر الغائب، وهذا هو السرد المباشر؛ وهکذا یقوم الراوی بوصف البیئة، والحالات .وقد یُجری الکاتب الکلامَ علی لسان البطل، ویتحدث إلی النفس حیناً، ویخاطب الأشخاص ثم لایلبث أن یتحدث بضمیر المتکلم، ثم بضمیر المخاطب حین یتخیل شخصاً کأنّما یحاوره.

ولایترک *نجیب محفوظ* الحوار فیها إذ إنه جزء هام من الأسلوب التعبیری فی القصة، وذلک من أهم الوسائل التی یعتمد علیها الکاتب فی رسم الشخصیات إذ تتصل شخصیات القصّة بعضها بالبعض الآخر اتصالاً صریحاً مباشراً.

لغة نجیب محفوظ وأسلوبه

«إنّ *نجیب محفوظ* الروائی یستخدم أحدث أسالیب التکنیک الروائی فی العالم، ففی روایاته نجد تیار الوعی، والتداعی، والفلاش باک، والمونولوج، والضمائر المختلفة»(عطیة، ۱۹۷۷ م:۱۵۹-۱۶۰). خاصةً فی الروایات التی صدرت فی الستینات، ومنها «اللّص والکلاب»، ویبرز فی هذه القصة بعض ألوان تیار الوعی کاستخدام سائد فیها.

ولغة *نجیب محفوظ* فی الکتابة اللغة الفصحی، ویلتزمها، وبعض الأحیان یستخدم العامیة بین الألفاظ الفصحی، لإضفاء الروح المصریة علی أجواء الروایة.

الحبکة

فی الحقیقة الحبکة هی «سرد حوادث القصّة أو الروایة مع ترکیز الاهتمام علی الأسباب» (الحمدانی، ۱۹۹۰ م:۱۵) ویتحدث الناقد الإنجلیزی *ای.ام.فورستر* عنها قائلاً: «إذا أردنا أن نعرّفها للقرّاء، نجد أنّ الحبکة مثل القصّة تعتبر روایة الأحداث المتتابعة التی رتّبت علی حسب توالی الزمن، ودوّنت علی أساس الروابط العلیّة»(پارسی پور، ۱۳۷۸ ش:۲۱).

فعلی أساس هذه التعاریف یمکن الإتیان بنموذجٍ من سیر تسلسل الأحداث فی «اللّصّ والکلاب» کحبکة فنیة فی الروایة هکذا:

البدایة/السرقة من بیت الطلبة/السرقة فی عطفة الصیرفی/إلقاء سعید فی السجن/ طلاق نبویة/الحریة من السجن/إنکار سناء/قتل شعبان حسین/قتل بواب رؤوف علوان/ مطاردة البولیس/انمحاق نور/محاصرة البولیس فی المقبرة/الموت بالمشنقة/النهایة.

ویُلاحظ کلّ الأحداث تدور حول سعید مهران، وفاعل الأحداث إما هو سعید أو آثار الأحداث تعود إلیه.

المجتمع المصری فی اللّصّ والکلاب

إنّ الخلفیة الروائیة لروایة «اللّصّ والکلاب» هی المجتمع المصری فی نهایة الخمسینات أو أوائل الستینات حینما کان نظام الملکی فی مصر یلفظ آخر أنفاسه، وأعلنت الجمهوریة فیها لکنها مع الأسف واجهت الخیانة .إنّ المجتمع الذی صوّره *نجیب محفوظ* فی «اللّصّ والکلاب» مع أشخاصه وأحداثه، هو مجتمعٌ مفعم بالعدالة المغمورة، وبالعدید من الفقراء، والذین یعیشون بالضیاع، المجتمع الذی فیه ضحیات الفقر کثیرة ممن یلجأن من الفقر، والیأس إلی البغاء، وبیع الجسد للبقاء، والعیش، أمثال شخصیة نور فی القصة .والحکومة فیه هی الحکومة التی تساعد الخائن، والمجرم، وتدعُ الأمور للمحکمة التی لا یَصدرُ الحکم فیها إلاّ لصالح المجرم، ولیس الحاکم عادلاً لقدرته، ولا یساعد الجماهیر الذین یعتبرون مجرمین فی رأی الحکومة، والقانون.

الدین

إنّ الدین، والاشتراکیة من الاهتمامات الجوهریة عند *نجیب محفوظ*، وهو یعتقد: «أن القوّتین تتنازعان الإنسان، والإنسان لایملک أن یتجاهلهما»(محفوظ، ۲۰۰۶ م:۱۴۷).

تطرح قضیة الدین، والعقیدة فی «اللّصّ والکلاب» من خلال العلاقة بین سعید مهران، والشیخ علی الجنیدی الذی یمثل جانب الإیمان فی نفس سعید مهران، والفکرة الدینیة، والإیمان؛ فی حین إنها کانت بعیدةً عن عقل سعید مهران. ینظر *نجیب محفوظ* إلی الدین فی «اللّصّ والکلاب» کعامل لایتمکّن من حل المشاکل، وحتی الفساد یمکن أن ینفذ إلیه؛ ویلاحظ هذا الرأی من خلال حلم شخصیة سعید مهران، وأراد أن یقول *نجیب محفوظ* من خلاله، حتی الأوغاد ینفذون إلی الدین، ویؤثرون علی رجال الدین، والفساد یَنفذ إلیهم.

المرأة

إنّ قضیة المرأة من الطبقة المتوسطة الشعبیة، هی من القضایا التی یعالجها *نجیب محفوظ* دائماً، والمرأة الشعبیة محصورة دائما فی ثلاثة نماذج من الشخصیات النسائیة: خادمة، أو عالمة، أو مومس، وتشغل المرأة المومس التی تنتمی إلی الطبقة الشعبیة حیزا ًهاما فی بعض روایات *نجیب محفوظ*(راجع: العشماوی، ۲۰۰۵ م:۱۱۱) ویرید *نجیب محفوظ*

أن يشير من خلالها إلى انحرافهن، وفى الواقع يرجع انحرافهن إلى الأسباب، والظروف الاجتماعية، وإنّ الغالبية منهن يرتكبن الإثم بسبب الفقر بسبب المجتمع. يقدّم *نجيب محفوظ* فى «اللّصّ والكلاب» نموذجين للمرأة المصرية، هما نبوية زوجة سعيد مهران، ونور فتاة الليل التى كانت تحب سعيد مهران.

كانت نبوية سيدة محترمة، ومن الخادمات التى تعمل فى بيوت الأغنياء، لكنها بعد زواجها، وإلقاء زوجها فى السجن خانته، وتزوجت من صديق زوجها، ووطئت كلّ الأحاسيس، والحب بينهم بسبب الانطلاق من الصعوبات الجديدة فى الحياة.

أما نور أو شلبية، فهى كانت ابنة خادم كان يعمل عند العمدة فى قرية البلينا فى أيام طفولتها، أما بسبب الفقر، والظروف تركت القرية، واختارت المدينة للوصول إلى الرغد، لكنها تحولت إلى مومس. فى حين أنها كانت منحرفة، لكنها كانت فاضلة، وذات قلب صاف فى جوهرها، وبسببها أعطى *نجيب محفوظ* اسماً جميلاً لها (نور) مصداقاً عليها.

إذ وفّرت لسعيد مهران ظروفا مناسبة لإقامته، وللوصول إلى نياته، وأصبحت الشعاع الوحيد الذى ينير ظلمات اليأس فى حياة سعيد مهران.

أما شخصية نور فهى النقيض لشخصية نبوية، ولقد أراد *نجيب محفوظ* أن يبرز من خلالها الفرق بين النساء الفاضلات، والمحترمات، وغير المحترمات فى نظر المجتمع. وهو يستعمل المومس فى رواياته ليوضّح للقارئ بشكل مباشر فساد أناس، المفروض فيهم عدم الفساد، وعلى أساس آراء الأديب الكبير *نجيب محفوظ* يفطن إلى دور المومس بين الشخصيات النسائية اللاتى يهتم بها *نجيب محفوظ*، واهتمامه بها له لون سياسى.

نتيجة البحث

بصفة عامة إنّ الروائى أو كاتب القصة، يتطور فى خلق أثره تحت منهجه الخاص الذى يسمى بالأسلوب، وبعناصر مختلفة تحت عناوين :الشخصية، والحدث، والمكان، والزمان، والسرد، والحوار؛ ويقدّم روايةً أو قصةً تهدف إلى فكرة معينة.

وطعن *نجيب محفوظ* من خلال «اللّص والكلاب» فى سلوك الحكام، والزعماء المصريين بصورة غير مباشرة، وبصورة رمزية، وأشار إلى مضامين الدين، والمرأة، والمجتمع، كما عبر عن عيوب الحكام حتى يعلنَ من خلالها أنّ النظام فى مصر ليس نظاماً جمهورياً.

وما یجذب القارئ فی «اللّصّ والکلاب»، فهو رمزها الذی یستتر فی مضمون الروایة، وهذا الاتجاه من اتجاهات *نجیب محفوظ* فی المرحلة الثالثة من تطوره الروائی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

أحمد القضاة، محمد. ۲۰۰۰ م، **التشكيل الروائی عند نجيب محفوظ**، الطبعة الأولی، لا ب، الموسسة العربية للدراسات والنشر.

پارسی پور، کامران، ۱۳۷۸ ش . **ساختار عناصر داستان**، تهران: سازمان تبلیغات اسلامی.

عثمان، بدری. لا تا، **بناء الشخصية الرئيسية فی روايات نجيب محفوظ**، لبنان: دارالحداثة للطباعة النشر والتوزيع.

العشماوی، فوزية. ۲۰۰۵ م، **المرأة فی أدب نجيب محفوظ**، لا ب: مكتبة الأسرة.

لحمدانی، حميد. ۱۹۹۰ م، **بنية النص السردی**، بيروت: دارالبيضاء.

محفوظ، نجيب. ۱۹۷۳ م، **اللّصّ والكلاب**، الطبعة السادسة، القاهرة: مكتبة مصر.

محفوظ، نجيب. ۲۰۰۶ م، **أتحدث إليكم**، بيروت: دارالعودة.

محمد عطية، أحمد. ۱۹۷۷ م، **مع نجيب محفوظ**، بيروت: دارالجيل.

مريدن، عزيزة. ۱۹۷۹ م، **القصة والرواية**، دمشق: دارالفكر العربی.

میرصادقی، جمال. ۱۳۸۰ ش، **عناصر داستان**، تهران: انتشارات سخن.

المقالات

بشيری، اكبر. ۱۳۸۸ش، «**نجيب محفوظ؛ وقفة فی حياته وأدبه**»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد فی جيرفت، السنة۱، العدد ۱، صص ۳۷- ۴۸.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی